

النَجَف

مدينة العلم ودار السلام للمؤمنين

بغداد - وليد عبد الأمير علوان
تصوير - مؤسسة كاشف الغطاء العامة

حضرة الإمام علي (ع).
Imam Ali Shrine.

تعد النجف أهم الأماكن المقدسة في العراق. وفيها ضريح الإمام علي بن أبي طالب (ع). وأقيم حولها عدد من المراكز العلمية والمدارس الدينية. فأصبحت مقرا للمرجعية الدينية عند الطائفة الشيعية في العراق وبعض البلدان الإسلامية المجاورة. وإليها يرجع في الفتيا. ومنها تصدر الفتاوى التي يتبعها ملايين المسلمين في أنحاء العالم. وتسمى جامعتها الدينية بـ"الحوزة العلمية" والتي تعتبر مهد الحركات العلمية والأدبية في العراق. ومنها انطلق كثير من عباقرة الأدب والفكر. كما أنها تضم أقدم وأكبر مقبرة في العالم.

الماضي. كما أن معظمها تحتوي على قبو يسمى بـ"السرداب" والذي يستخدم عادة للنوم في أيام القيظ لبرودته. وكذلك مكانا لحفظ أطعمتهم من التلف والتفسخ بسبب عدم توفر وسائل التبريد. حيث لا يخلو مسكن في المدينة القديمة ولا مسجد ولا مدرسة منه. ويعتبر آية من آيات الفن العماري الإسلامي الرفيع حيث الأعمدة والسقوف المنقوشة والمقرنصات والأفواس والأنفاق التي يؤدي بعضها إلى البعض الآخر. و قد لعبت دورا في صد الهجمات و الغزوات على النجف حيث كان يحتمي بها أهلها. وتمتاز أيضا بان أسواقها عريضة ولا سيما السوق الكبير الذي يبتدئ من سور المدينة الشرقي وينتهي عند صحن الإمام علي (كرم الله وجهه). وبكثرة ←

وترتفع 70 مترا فوق مستوى سطح البحر. والنجف اسم عربي معناه "المكان الذي لا يعلوه الماء". لأنها أرض عالية تشبه المسناة تصد الماء عما جاورها. والنجف اليوم هي نجف الكوفة. وقد كانت الحيرة التي تأسست بالقرب منها الكوفة الحالية إمارة للمنادرة وهم السلالة التي حكمتها حتى ظهور الإسلام. وكانت تنتشر في الحيرة الأديرة المسيحية قبل الفتح الإسلامي. وأما النجف. فإنها تحصرت واتسع نطاقها وازدهم سكانها بفضل وجود قبر الإمام علي (ع) الذي أعطى المدينة طابع القدسية والاحترام. تبلغ مساحة المدينة نحو 1338 كم² وهي قسمان: المدينة القديمة والتي تحيط بقبر الإمام علي وتمتاز بأن معظم بيوتها قديمة حيث بنيت في عشرينات القرن

ولعل أهم ما يميز هذه المدينة عن مدن العراق الأخرى أنها لا تعرف الهدوء مطلقا حيث تضج بالحركة ليلا ونهارا وعلى مدار السنة. خصوصا قرب ضريح الإمام علي (ع). ولك أن تتصور كيف يكون الحال عندما كان يدخل هذه المدينة 15 ألف زائر يوميا من خارج العراق. ناهيك عن الوافدين إليها من معظم محافظات العراق. سواء للزيارة. أو الذين يحملون جثث موتاهم ليدفنوها في مقبرة وادي السلام. وهم يتحركون ضمن منطقة لا تتجاوز كيلو مترا مربعا.

الموقع والتسمية

تقع هذه المدينة جنوب غرب العاصمة بغداد وعلى بعد 160 كم وعلى حافة الهضبة الغربية من العراق



Inside the shrine.

ضريح الإمام علي (ع).



Inside the shrine.

ضريح الإمام علي (ع).

الأثرياء القادمون من خارج العراق، أو ما يرسله الملوك والسلاطين والأمراء، حيث يتم حفظها في خزائن خاصة أو سرداب لا تفتح إلا في أوقات معينة، ولعل أشهر هذه الكنوز التاج الخاص بالسلطان نادر شاه المرصع باللؤلؤ، أما السجاد العجمي فإنه يفوق حد الخيال فهناك سجادة من الحمل البنفسجي الحلاة بالماس والزمرد واللؤلؤ والياقوت. وهناك سجدتان أبعاد كل منهما أربعة أمتار بمتريين. وقد فشل الخبراء في تقدير ثمن لها، أما السجادة التي قدمها الشاه عباس الصفوي، فإبعادها سبعة أمتار بثلاثة أمتار، وهي مصنوعة من الحرير والقصب والذهب. وهناك سجادة كلها من اللؤلؤ الطبيعي المتفاوت الأحجام وفي وسطها تاج محلى بالزمرد يحمله ملكان، وبجانبيهما طاووس، ومبخرة، وأسد، وبيغاوات ومنقوش عليها باللؤلؤ "لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار".

الحوزة العلمية

برجع الفضل في تأسيس "الجامعة العلمية" أو ما يعرف بالحوزة العلمية إلى الشيخ الطوسي والذي وضع النواة الأولى لها سنة 448 هـ/1056 م. حتى ←

وجديده، وبعد احتراق عمارة عضد الدولة قام سلاطين كثير بإعادة إعمارها، أما العمارة الحاضرة فهي عمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول حيث قام بتوسيع ساحة الحرم والصحن وتذهيب القبة وتزيين الديوان والصحن الشريف بالحجر القاشاني وذلك عام 1095 هـ/1684 م.

تتألف الروضة الحيدرية من الصحن والبهو والرواق والروضة الداخلية وفي وسطها يقوم المرقد الشريف وقد صنع عليه شبك من الفضة الناصعة والذهب، وهو ذو أربعة أركان. وللصحن أربعة أبواب كبيرة ولكل باب من هذه الأبواب طاق معقود بالفسيفساء، وتقوم فوق الضريح قبة ذهبية تتلألأ بمهابة وهي مصنوعة من 7777 طابوقة من الذهب وخيط به مئذنتان ذهبيتان يبلغ ارتفاع كل منهما 35 م وتحتوي كل منهما على 40 ألف طابوقة ذهبية، والذهب الذي يغطي المئذنتين والقبة سمكه 0,5 سم، وقد أمر بوضعه نادر شاه الذي زار النجف عام 1156 هـ/1743 م.

كنوز الروضة الحيدرية

إن ما تحتويه خزائن الروضة الحيدرية من كنوز ليس له نظير، وإن معظم هذه الهدايا هي ما يحمله الزوار

الأزقة والخارات الموجودة فيها، أما المدينة الحديثة فإنها تمتد بعيداً عن ضريح الإمام علي وقد أنشئت في ستينات وسبعينات القرن الماضي، وتمتاز ببيوتها الحديثة وشوارعها الواسعة وعماراتها الكبيرة، كما أنها تضم العديد من منشآت الدولة الإنتاجية والخدمية.

وأما بشأن قبر الإمام علي، فيروي المؤرخون أن داوود بن علي العباسي كان أول من اكتشف القبر وذلك في حدود عام (139 هـ/756 م) حيث كان قد دفن سرا، كما أن الخليفة العباسي هارون الرشيد والذي ازدهرت في عصره الحضارة العربية والإسلامية كان أول من شخّص وأكد موقع المرقد الشريف للإمام علي في حدود سنة (170 هـ/786 م) عندما كان في نزهة صيد في أرض النجف، فتوقف عند الذكوات البيض وهي عبارة عن ثلاث مرتفعات يتوسطها واد حيث كان قبر الإمام علي فأمر ببناء قبة من الطين الأحمر عليه ثم توالى عمليات التعمير حيث قام زيد الداعي المتوفى سنة 287 هـ/900 م ببناء قبة على القبر وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً، ويقال لموقع القبر "الروضة الحيدرية" نسبة إلى "حيدرة" وهو من أسماء الإمام أيضاً. وبعد ذلك قام عضد الدولة البويهري بإعادة البناء

سياحة مدن



Al-Murtadha Foundation.

جانب من مؤسسة المرتضى.

أصبحت أوسع وأهم جامعات العالم الدينية. تمتاز الحوزة العلمية بأنها مدرسة علمية متخصصة بدراسة الفقه والحديث وكافة العلوم الإسلامية كعلوم القرآن، العربية، الفلسفة والمنطق ويفد إليها الطلبة من مختلف الدول الإسلامية وتتبع نظاما يعتبر من أرقى النظم التعليمية، حيث إن للطلاب الحرية في اختيار الأستاذ والمادة ووقت المحاضرة. ويحصل الطالب على أعلى مرتبة دراسية وهي درجة الاجتهاد عبر اجتيازه ثلاث مراحل. وهي: مرحلة "المقدمات" ثم "السطوح"، أي القراءة من سطح الكتاب، وبعد ذلك "البحث الخارج" أي من دون الإعتتماد على كتاب محدد. وهذه الأخيرة تعتبر أهم المراحل وقد لا يتخرج منها سوى 3% من وصلوا إليها وربما يجدد طالب العلم الدورة لأكثر من مرة. وتكون فترة الدراسة فيها خمس إلى سبع سنوات.

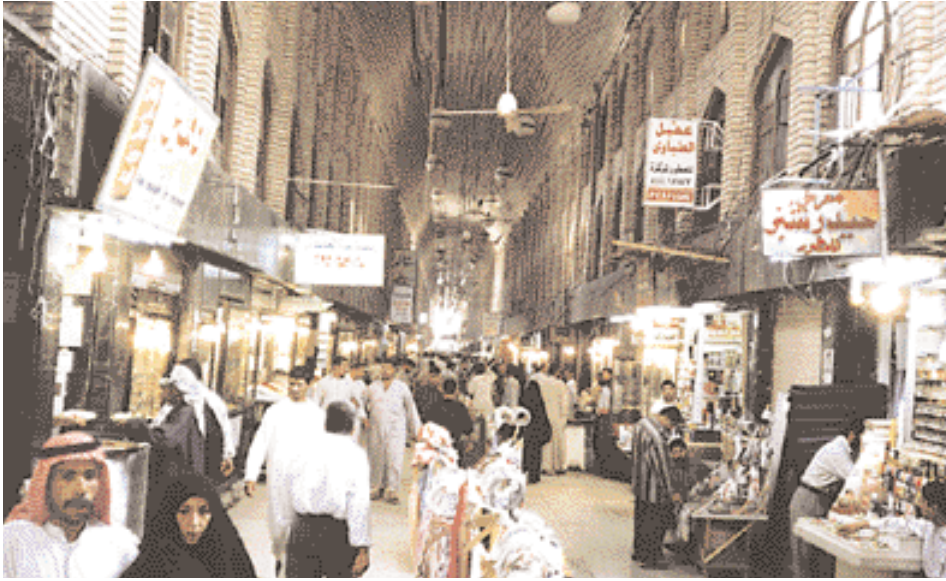
وهذه المراحل ليست محددة بفترة زمنية بل إن ذلك يعتمد على مثابرة واجتهاد الطالب، إلا أنها لا تقل عن 15 سنة. ومن التقاليد المتبعة في الدراسة الحوزوية إن الطالب عادة ما يكون طالبا وأستاذا في آن واحد إذا ما نبغ في مادة ما وحصلت قناعة لدى أساتذته بأهليته للتدريس. والتعليم في هذه المدارس مجاني. كما إن المرجعية الدينية تقوم بتقديم الدعم المالي وتوفير الكتب والمستلزمات الأخرى في حدود المتيسر من المال لديها. وعدد المدارس في الوقت الحاضر هو في حدود 25 مدرسة بنحدرتها فيها حوالي 5 آلاف طالب.

السيد السيستاني

والرجل الذي يتربع على رأس المرجعية الدينية في النجف الأشرف الآن هو السيد علي الحسيني السيستاني، البالغ من العمر 74 عاما والذي قدم إلى النجف من إيران عام 1951 لدراسة العلوم الدينية. وهو يسكن في بيت صغير في محلة البراق في المدينة القديمة في زقاق يبعد عن مرقد الإمام علي (ع) مسافة 200 متر. ولدى السيد السيستاني شبكة واسعة من الوكلاء داخل وخارج العراق بمدونه يوميا بكل مستجدات المواقف المختلفة ويدير في نفس الوقت عددا كبيرا من المدارس الدينية والمؤسسات الثقافية. مثل مؤسسة المرتضى ومركز الأبحاث العقائدية. وتحتوي هذه المراكز على قسم خاص بالشبكة العالمية على الإنترنت ومواقع للإجابة على الاستفتاءات التي ترد إلى السيد السيستاني مع مركز خاص لمتابعة القنوات الفضائية. وقد تشرفنا بزيارة سماحته يوم 9/30 إلا أننا لم نتمكن من التقاط أي صور خاصة لذلك حيث إن ذلك محظور بأمر مباشر منه.

مقبرة وادي السلام

تعد مقبرة وادي السلام من أكبر وأوسع مقابر العالم وأقدمها. ويؤتى إليها بالموتى أيضا من الدول المجاورة ومن يوصي أن يدفن هناك من أبناء البلدان البعيدة وذلك لمكانة هذه المنطقة عند المسلمين. إلا أنه منع أخيرا من دفن الجثث التي ترد من خارج العراق عدا العراقيين الذين يموتون خارج العراق. والجدير ذكره أنه لا



The large souk in Najaf.

السوق الكبير في النجف.

والناظر إلى مدينة النجف من فوق مرتفع أو سطح عال يشاهد قبا خضر وزرق متناثرة وتمتاز هذه المقبرة بتوفر مجموعة من العاملين الذين يتولون كافة مراسيم التغليف والتكفين حيث يتم الطواف بالجنائز حول المقام ثلاث مرات بعد أن يصل عليه في الصحن الداخلي للمقام ثم يحمل إلى وادي السلام لغرض دفنه. وعادة ما يكون لكل عائلة الدفن الخاص بها وهم يتوارثون ذلك أبا عن جد وهم من عوائل معروفة في النجف.

أما أحدث مقبرة في وادي السلام فهي المقبرة التي يطلق عليها الأهالي "مقبرة جيش المهدي" والتي أنشئت قبل خمسة أشهر والتي تضم معظم قتلى هذه المليشيا الذين سقطوا في المقبرة في المواجهات مع قوات التحالف خلال شهري مايس/أيار وأب/أغسطس من هذا العام. ←

يمكن إحصاء عدد القبور في وادي السلام، إلا أن متوسط عدد الذين يدفنون يوميا في هذا الوادي يبلغ 150 ميتا. والغريب أن عدد الموتى الذين يدفنون في الشتاء هو ضعف عدد أولئك الذين يدفنون في الصيف.

تقسم المقبرة إلى قسمين: المقبرة القديمة والمقبرة الحديثة. وبالإضافة إلى القبور العادية فهناك أيضا ما يسمى بـ"السراديب" التي تتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق، وكل واحد منها يحتوي على صف من اللحد يتراوح عددها ما بين الخمسة والثمانية، وهي قسمان من حيث السقوف. الأول مسقوف بسقف اعتيادي والأخر يضم بنايات تحتوي على عدة غرف هي مكان يجلس فيه الزائرون من ذوي الموتى وأصدقائهم، والأكثرية من منازل مدينة النجف مبنية على قبور قديمة.



The books seller.

بائع كتب.

ونظرا لشهرة النجف فقد دفن فيها عدد من الملوك والعلماء والسلاطين والقادة، ومن أشهر الملوك والسلاطين المدفونين هناك عضد الدولة البويهبي والشاه عباس الأول والسلطان محمد القاجاري.

مساجد النجف

إن النجف بحق هي مدينة المساجد حيث لا تكاد تخلوا محلة أو زقاق من مسجد أو جامع أو ما تسمى بـ"الحسينية". وقد تكون صغيرة خاصة بأهل الحي أو الزقاق أو قد يكون مسجدا كبيرا يرتاده المصلون من مناطق أخرى. وعادة ما تكون هذه المساجد بإمامة أحد رجال الدين البارزين. كما أن أغلب رجال الدين البارزين، والبيوتات النجفية المعروفة، لها مساجدها الخاصة. هذا ويبلغ عدد المساجد في مركز مدينة النجف وحدها 125 مسجدا، أشهرها مسجد الطوسي والذي يقع شمال الصحن الشريف في منطقة العمارة. مسجد الهندي في شارع الرسول والذي يقع في قبلة الصحن الشريف، ومسجد الخناتة والذي يقع على يسار الطريق إلى الكوفة شمال النجف، ومسجد الشاكري في شارع الإمام علي عند مدخل النجف على الطريق العام، وجامع كاشف الغطاء في منطقة العمارة.

مكتبات النجف

لقد برزت النجف على مسرح التاريخ كجامعة علمية دينية كبيرة تعنى بكافة جوانب المعرفة، وتركت تلك الجامعة تراثا أصيلا تمثل بالكاتب الشهيرة التي كتبها جهابذة العلماء الميرزين. ومن هنا بدأت مكتبات النجف تعمر بالكاتب والمخطوطات النادرة حتى صارت محط أنظار العالم بقصدها الباحثون وطلبة الدراسات العليا، وتعتبر مكتبات النجف من أغنى المكتبات في العراق وأعرقها لا سيما المكتبات الخاصة وأغلبها تملكها الأسر الدينية مثل آل كاشف الغطاء وآل بحر العلوم وآل القزويني.

أما المكتبات العامة فأشهرها "مكتبة الإمام الحكيم" في شارع الرسول الأعظم، و"مكتبة العلمين" في جامع الطوسي و"المكتبة الحيدرية" و"مكتبة أمير المؤمنين" في منطقة الحويش. حيث تضم هذه المكتبة أكثر من نصف مليون عنوان تشمل كافة العلوم ما بين مطبوعة ومخطوطة.

ولعل أهم نوادرها مصحف شريف بخط الإمام علي (ع) وقد خط بالخط الكوفي غير المنقط واحتوت إحدى صفحاته على ختم ولده الحسن (ع) مما يؤكد نسبة هذا الخط للإمام علي. وقد كتبت آيات المصحف النادر على رق الغزال.

ومن المخطوطات النادرة مصاحف كتب بعضها على جلد الأفعى و"مخطوط الشفاء" لابن سينا نسخ سنة 496 هـ/1103 م، وكذلك مخطوط "الكشف والبيان في تفسير القرآن" للثعلبي.

ومن أحدث المكتبات في النجف الأشرف "مكتبة أهل البيت العامة" في سوق الحضّر والتي افتتحت عام 1993م وحتوي على بعض المخطوطات ولعل أقدمها يعود تاريخها إلى أكثر من 500 سنة، ومنها كتاب "زبدة الأصول"، بالإضافة إلى احتوائها على خزانه كبيرة ←



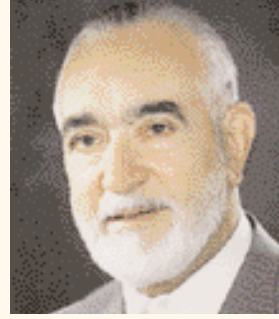
An alleyway in the old town.

أحد أزقة المدينة القديمة في منطقة العمارة.



The Amir Al-Muminin library.

مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة.



حسين الشاكري: جهود في جمع المخطوطات والإحسان في النجف

من أبرز المعاصرين المساهمين في بناء صرح التعليم والمعرفة في النجف الأشرف هو السيد حسين الشاكري الذي جاهد بماله وعمله جنباً إلى جنب مع العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني (رحمه الله)

في بناء مكتبة أمير المؤمنين وجمع لها الكتب والمخطوطات المصورة من خزائن أهم المكتبات الإسلامية في العالم، حتى أصبحت من المكتبات المهمة في مجال جمع وحفظ التاريخ والتراث الإسلامي.

كذلك جاهد بماله وعمله جنباً إلى جنب مع العلامة الشيخ محمد رضا المظفر رحمة الله عليه في دعم جمعية منتدى النشر وبناء كلية الفقه التي خرّجت العديد من أساتذة الفقه والشعر والأدب العربي والإسلامي المعاصر.

وساهم في إعمار الكثير من مشاريع تطوير مرافد الأئمة والمساجد في كل من كربلاء والكاظمية وبغداد.

وكتب الشاكري العديد من الكتب قد تصل إلى المائة في حق أئمة أهل البيت والصحابة والأولياء الصالحين، وكذلك كتب الدعوات والدعاء خير الإسلام والمسلمين، وأرخ للكثير من الشخصيات المعاصرة التي التقى بها عبر أكثر من ستين سنة من عمره المديد.

وكانت حياته منفتحة على العالم حيث ساح شرقاً وغرباً وكتب الكثير عن سفراته في كتابه "ذكرياتي"، وبذلك يعتبر سائحاً إسلامياً.

وهناك الكثير من مساهماته التي قل من يعرفها وسمع عنها، وهي تصب في مجال دعم الكثير من المؤمنين في سبيل التغلب على شغف العيش والحياة.

ويستحق الحاج حسين الشاكري لقب الجاهد الذي جاهد بماله ونفسه حتى هاجر وذاق مرارة الغربة وقد سلبت كل أمواله وممتلكاته التي كسبها بعز وأمانة وشرف من خلال عمله وجهده في الحياة، نرجو من الله أن يمن عليه بطول العمر ليواصل جهوده في سبيل مدينته النجف ومكانتها الإسلامية والعلمية.

العلمية والجامعات والمكتبات.

در النجف

تمتاز ارض النجف باحتوائها على الكثير من الأحجار الكريمة ولعل أشهرها ما يعرف بـ"در النجف" وهو حجر جميل الشكل له صفاء وشفافية قل لها نظير، ويستعمل هذا الحجر للتختم والتزين وكسب الثواب على ما يعتقد.

بالإضافة إلى ذلك فإن مدينة النجف تحوي الكثير من المساجد والمقامات والمزارات كما أن لأهلها الكثير من التقاليد والعادات الموروثة والاحتفاليات الخاصة بالمناسبات الدينية والاجتماعية والتي تؤكد أصالة هذه المدينة الإسلامية والعربية. ■

ومكتبة ومركز لخدمات الانترنت ومركز لحفظ المخطوطات حيث بلغ عدد المخطوطات أكثر من 1800 مخطوط أدخلت على 74 قرص ليزري. بالإضافة إلى هذا المركز هناك مركز إحياء التراث الشيعي في شارع الرسول ومركز الأبحاث العقائدية في نفس الشارع ومركز المرتضى في شارع المدينة والمكتبة الوثائقية التاريخية في شارع المدينة، وهناك منتدى النشر الذي أنشئ في منتصف الثلاثينات وأسس مدارس أهلية ابتدائية وثانوية، وكونت كلية في أواخر الخمسينات تحولت في الستينات إلى كلية الفقه، واستمرت حتى مصادرتها من قبل النظام السابق في عام 1991 م، وهناك حالياً جهود لإعادتها. ولهذه المراكز علاقات علمية وثقافية مع جميع المراكز

للدوريات الأجنبية والعربية والمحلية، ومكتبة الشاكري التي تقع جوار مسجد الشاكري في شارع الإمام علي، علماً إن جميع موجودات هذه المكتبة قد صودرت من قبل زبانية النظام السابق.

المراكز الثقافية

إن النجف والثقافة صنوان لا يفترقان، وتنتشر فيها المؤسسات الثقافية التي تقدم خدماتها بالجان لطلبة العلوم الدينية والباحثين، وتضم هذه المؤسسات وحدات خدمات الشبكة العالمية "الإنترنت"، ومراكز لحفظ المخطوطات، تعمل على إدخال المخطوطات على الأقراص الليزرية، ومن أشهر المراكز مؤسسة كاشف الغطاء العامة والتي تضم مدرسة دينية